يوسف بن هارون الرمادي الأندلسي دراسة في سيرته وشعره في السجن

د/ امحمد بن لخضر فورار

قسم الأدب العربي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة محمد خيضر بسكرة. الجزائر

الملخص:

نتناول في هذا المقال واحدا من شعراء الأندلس الذين قضوا فترات من حياتهم في السجن بسبب نقدهم للحكام، ووصفوا معاناتهم فيه كالشاعر بيوسف بن هارون الرمادي الأندلسي الذي يمكن أن نتناول سيرته وشعره في السجن بالدراسة والتحليل.

اسم يوسف بن هارون الرمادي ونسبه :

هو يوسف بن هارون الكندي (1)، أبو عمر المعروف بالرمادي (2)، وقد تضاربت الآراء في تعليل هذه النسبة وكثرت، وسأكتفي ببعضها التي في اعتقادي أنها قريبة من الصواب، قال ابن بشكوال: ((كان يلقب بأبي جنيش فنقل إلى الرمادي))(3). أما الحميدي فقال: ((أظن أن أحد آبائه كان من رمادة موضع بالمغرب)) (4)، دون تحديد. وقد نقل ابن خلكان(5) هذا الخبر عن الحميدي، وابن سعيد يورد أن الرمادة من قرى شلب (6).

أما ابن حيان فقد ذكره مرة، قال: يوسف بن هارون الشاعر الرمادي (7)، وقال في الثاني: يوسف بن هارون البطليوسي الشاعر المعروف بأبي جنيش (8). وأما (آنخل بالنثيا) فإنه يرى أن الرمادي ليس نسبة إلى رمادة – كما يعتقد البعض – وإنما هو الصورة العربية لكنيته بالإسبانية الدارجة وهو (أبو جنيش)، والجنيش في الإسبانية هو الرماد (9).

وأمام تضارب هذه الآراء فإنه يمكن اعتماد ابن حيان على أن الرمادي صفة، وهو من أسرة تتصل بقبيلة كندة، ولذا يقال له يوسف بن هارون الكندي (10).

-أصله وبلده:

اختلفت الروايات في أصله كما اختلفت حول لقبه، قال الحميدي: إنه قرطبي (11)، وكذلك قال الضبي (12)، وابن بشكوال (13)، وياقوت الحموي (14)، وابن خلكان (15). أما ابن سعيد فذكر أنه من رمادة إحدى قرى شلب – كما تقدم – وقال في موضع آخر: ((كان بنو هارون قد ملكوا شنتمرية الغرب، وتوارثوها))(16). وشنتمرية من أعمال شلب، فكان قوم منهم في شنتمرية وقوم في رمادة – إن صح وجودها – وغيرها.

وأما ابن حيان فذكر إنه من بطليوس (17)، كما تقدم، وأما من قال: إنه قرطبي، فلأن الشاعر الرمادي عاش أكثر حياته في قرطبة فنسب إليها.

يستفاد من هذه الروايات، أن الرمادي من أصل بطليوسي (18)، وعاش أكثر أيامه في قرطبة فنسب إليها.

-مولده ونشأته:

ولد الرمادي في السنوات الأولى من المائة الرابعة، لأنه كان حين قدم أبو علي القالي إلى الأندلس سنة 330 هـ (19)، شابا يقول الشعر ، يتحدث فيه عن شعرات بيض نزلن بمفرقه، يقول (20) :

وثلاث شيبات نزلن بمفرقي فعلمتُ أنّ نزولهن رحيلي

ويقول أحمد هيكل: ((إذا فرضنا أنه كان حينئذ في حدود السابع والعشرين من عمره، كان مولده نحو سنة 303 هـ))(21). ولا نعلم متى كان انتقال الرمادي إلى قرطبة، فمن نسبته إليها وعلاقته بعلمائها وخلفائها والحاجب المنصور بن أبي عامر، يمكن القول بأنه نشأ في قرطبة وعاش فيها أكثر أيامه، ((ويبدو أنه قصدها للدراسة، ثم أصبح مدرسا فيها))(22)، كما تقدم.

وأما عن دراسته فإنه اكتسب صناعة الأدب من شيخه أبي بكر بن هذيل الكفيف (23)، الذي أخذ عنه الصنعة الشعرية حتى جاراه (24). وقد أورد ابن بسام ما حكاه عن نفسه، قال: ((بكرت إلى أبي المطرّف بن مثنى فألفيت قد بكّر قبلي يحي بن هذيل، فقال لي: ما

عندك؟ فقلت: ليس عندي كبيرُ معنى، ولكن ما عندك أنت؟ فأخرج من كمّه قصيدته التي يقول فيها في صفة الحمامة:

و مُرنّة و الـدجْن ينسج فوقها بُرديْن من طــلّ و نوء باكِ
مالت على طيّ الجناح و إنّما جعلت أريكتها قضيب أراك
و ترنّمت لـحنين قــد حلّتْهما بغنـــاء مُسمعة و أنّــة شاك
ففقدتُ من نفسي لفرط تلهّفي نفس الحياة وقلتُ من أبكاك

فأنشدنيها، وأنا أعد محاسنه فيها، فلما أكملها قال لي: انصرف إلى المكتب وتأدّب حتى تحكم مثل هذا فكأنه حركني، واتفق أنه لم يخرج إلينا أبو المطرف ذلك اليوم، فبكرت من الغد إليه وأنشدته قصيدتي التي أقول فيها في وصف الحمامة:

أحمامةً فــوق الأراكة تنثني بحياة مــن أبكاك ما أبكاكِ
أمّا أنا فبكيتُ من حرق الهوى و فراق من أهوى، أأنتِ كذاك ؟

قال: فلما سمعها، ابن هذيل قال: عارضتني! قلت لا والله إلا ناقضتك، فقال: اذهب فقد أخرجتك من المكتب)) (25).

كما تلقى الرمادي أبا علي القالي لما قدم إلى الأندلس ، زمن عبد الرحمن الناصر، ومدحه بقصيدة مطلعها (26):

من حاكمٌ بيني وبين عذولي الشجوُ شجوي والعويل عولي

وانضم الرمادي إلى جماعة المستفيدين من القالي ، وقرأ عليه كتاب النوادر (27)، وأما عن قيامه بالتدريس في قرطبة بعد أن بلغ درجة تسمح له بذلك، قال ابن سعيد في ترجمة الأمير أرقم بن موسى بن ذي النون (28)، كان قد قرأ في قرطبة على الرمادي الشاعر (29).

وروى عنه مصعب بن الفرضي (30)، وأخذ عنه ابن عبد البر قطعة من شعره وضمنها بعض كتبه (31).

وقد عاصر الرمادي عددا من حكام الأندلس، وكان له في عهد كل منهم نشاط شعري ملحوظ؛ فقد عاصر عهد عبد الرحمن الناصر لدين الله، وله قصيدة شعرية – كما تقدم – في

استقبال أبي علي القالي، ثم ارتفع شأنه في أيام الخليفة الحكم المستنصر بالله، وأصبح مقدما على سائر الشعراء (32).

ورحل الرمادي في هذه الفترة من حياته متجها نحو صاحب (سرقسطة) (33)، عبد الرحمن بن محمد التجيبي، ومدحه بقصيدة مطلعها (34):

قفوا تشهدوا بثّي وإنكار لائمي على بكائي في الرّسوم الطّواسم

وقال الرمادي عن نفسه قد وصلني ثلاثمائة دينار ثمن الميمية (35). ووراء هذه الرحلة قصة حبه (خَلوة)، أوردها ابن حزم في طوق الحمامة، قال: ((إن يوسف بن هارون الرمادي كان مجتازا عند باب العطارين بقرطبة، وهذا الموضع كان مجتمع النساء، فرأى جارية أخذت بمجامع قلبه، وتخلل حبها جميع أعضائه ، فانصرف عن طريق الجامع وجعل يتبعها وهي ناهضة نحو القنطرة فجازتها إلى الموضع المعروف بالربض، فلما صارت بين رياض بني مروان – رحمهم الله – المبنية على قبورهم في مقبرة الربض خلف النهر، نظرت منه منفردا عن الناس، لا همة له غيرها، فانصرفت إليه، فقالت له: ما لك تمشي ورائي؟ فاخبرها بعظيم بليته بها. فقالت له: دع عنك هذا، ولا تتطلب فضيحتي، فلا مطمح لك في البتة، ولا ما ترغبه سبيل فقال: إنني أقنع بالنظر، فقالت ذلك مباح لك، فقال لها يا سيدتي أحرة أم مملوكة؟ قالت: مملوكة، فقال لها: ما اسمك؟ قالت: خَلوة، قال: ولمن أنت؟ فقالت له: علمك والله بما في السماء السابعة أقرب إليك مما سألت عنه، فدع المحال، فقال لها: يا سيدتي وأين أراك بعد هذا؟ قالت: حيث رأيتني اليوم في تلك الساعة من كل جمعة. فقالت له: أما أن تنهض أنت وإما أنهض أنا؟ فقال لها: انهضي في حفظ الله)) (36).

وقد لازم الرمادي باب العطارين عله يراها، ولكنه ما وقع على أثر لها، وهي (خلوة) التي يتغزل بها في أشعاره (37). ثم وقع بعد ذلك على خبرها بعد رحيله في سببها إلى سرقسطة، ولما عاد إلى قرطبة وجدها عند رجل من إخوانه (38).

يتضح من هذه الرواية أن الرمادي كان على صلة جيدة بالتجيبي صاحب سرقسطة.

و كذلك من رحلاته، رحلته إلى ابن الوبلة فرحون (39) بن عبد الله حين كان واليا على شنترين (40) للحكم المستنصر بالله) (41).

من الروايتين السابقتين نستخلص أن الرمادي في هذه الفترة من عمره، كان يعيش عيشا مترفا يجوب الأقاليم الأندلسية، وينزل ضيفا على ولاتها وأمرائها، وينال أعطياتهم بمدحه لهم.

ولكن هذا الترف وهذا النعيم لم يدوما لأن حاله بدأت تسوء مع الخليفة الحكم، وسببها يرجع إلى الخليفة الذي أصدر أمرا بقطع الخمر من الأندلس واستئصال شجرة العنب من جميع أعماله (42)، فبرز الرمادي يبدي أسفه ويتوجع لشاربيها (43)، ويجعل من أبي حنيفة مثلا أعلى يجب احتذاؤه لأنه تشفع بجار له سكير عند الأمير، فأخلى سبيله وكل من أخذ تلك الليلة (44)، وفي هذا تحد للخليفة الحكم المستنصر ولفقهاء المالكية، يقول (45):

بخطب الشّاربين يضيق صدري و تُـرمِضني بليّتهم لعمـري
و هل هم غير عُشّاق أصيبـوا بفقد حبائب و مُنـوا بـهجْر
أعُشّاق المدامة إن جزِعتـــم لفُرقتها فليـس مكانَ صبـر
سعى طلاّبكم حتى أُريقَـــت دماءً فوق وجه الأرض تجري
تضــوَّع عَرفُها شرقــا و غربــا و طبّــق أُفق قُرطبة بعطــر

و قال:

تحرّيتم بذاك العدل فيها بزعمكـم فإن يكُ عن تحرِّي
فإن أبا حنيفة و هو عدلٌ و فرّ عن القضاء مسيرَ شهر
فقيـــه لا يـدانيـــه فقيــه إذا جاء القياسُ أتى بــدرّ
وكان من الصّلاة طويلَ ليل يُقَطِّعـــه بلا تَغْميض شَفْـر
و كان له من الشُّراب جارٌ يــواصل مغربا فيها بفجر

هذا الفقيه الجليل أتى الأمير، وطلب منه أن يطلق سراح جاره السكير، وكان له ما أراد، كما تقدم.

وكان الرمادي في هذه الفترة يلتقي مع ندمائه، ويشربون الخمر، ويصفون لونها وحبابها وأدواتها وساقيها، ثم تقلبت الأحوال بالرمادي، فاتهم في أيام الحكم المستنصر بالله هو وجماعة من الشعراء، نظمت أشعارا في ذم الخليفة الحكم، ولم يبق منها إلا هذا البيت للرمادي ينتقد فيه على الخليفة كثرة التولية والعزل، يقول فيه (46):

يـولي ويعزل من يومـه فلا ذا يتمّ ولا ذا يتمّ

يبدو أن الشاعر الرمادي نسي ما حدث له – على حسب رواية ابن حيان – لكن هذه المرة سجن، ولم تنفع عند الحكم شفاعة. ويرجح أن فترة سجنه كانت قريبة جدا من الحادثة السابقة، يقول صاحب مطمح الأنفس عن سبب سجنه: ((وشاعت عنه أشعار في دولة الخليفة وأهلها سدد إليهم صائبات نبلها، وسقاهم كؤوس نهلها أوغرت عليه الصدور ونفرت عليه المنايا ولكن لم يساعدها المقدور، فسجنه الخليفة دهرا، وأسلكه من النكبات وعرا)) (47).

نستخلص من هذه الرواية أن سجن الرمادي قد طال، فأخذ ينظم الأشعار الكثيرة وهي مبثوثة في شعر الشكوى والاستعطاف ((وله في السجن أشعار صرح فيها ببثه، وأفصح فيها عن جُلّ الخطب لفقد صبره ونكثه)) (48). كما عمل في السجن كتابا سماه (كتاب الطير) في أجزاء وكله من شعره، وصنف فيه كل طائر معروف، وذكر خواصه، وذيل كل قطعة بمدح ولي العهد هشام بن الحكم مستشفعا إلى أبيه الحكم في إطلاقه (49).

ولعل إطلاق سراح الرمادي يرجع إلى سنة 364 هـ (50) لأن في هذه السنة يذكر ابن حيان أن الخليفة مرض واحتجب عن الناس، وبعد إبلاله من مرضه (51)، أعتق كثيرا من عبيده (52)، ثم ((أنفذ تحبيس حوانيت السراجين بسوق قرطبة على المعلمين الذين قد كان اتخذهم لتعليم أولاد الضعفاء و المساكين بقرطبة)) (53).

كل هذا يدعوني إلى القول: بأنه ربما أطلق سراح الرمادي وبعض السجناء بعد إبلال الخليفة من مرضه، وبخاصة أنه أكثر من الإحسان وفعل الخير، كما تقدم.

والمرجح أن لجعفر بن عثمان المصحفي (54) يدا في إطلاق سراح الرمادي هذا إذا اعتمدنا على ما أورده المراكشي من أن الرمادي ((كان مختصا بأبي الحسن المصحفي منضويا إليه))(55) . وكذلك المصحفي كان مختصا ومقدما عند الخليفة الحكم عندما ظهر لخاصته بعد إبلاله من مرضه (56).

من الروايتين السابقتين يمكن لي أن أرجح بأن الرمادي أطلق سراحه زمن الخليفة الحكم المستنصر بالله.

-علاقة الرمادي بالمنصور بن أبي عامر:

لقد عاصر الرمادي كذلك عهد المنصور بن أبي عامر، وكان من المترددين إليه، ولم تصلنا أمداحه فيه، ولكن ما يؤكد علو مرتبته عنده ما حدثنا به المقري في نفح الطيب، قال: ((قال المنصور ابن أبي عامر للشاعر المشهور أبي عمر يوسف: كيف ترى حالك معي؟ فقال: فوق قدري ودون قدرك، فأطرق المنصور كالغضبان، فانسل الرمادي وخرج وقد ندم على ما بدر منه، وجعل يقول أخطأت، لا والله ما يفلح مع الملوك من يعاملهم بالحق، ما كان ضرني لو قلت له: إني بلغت السماء، وتمنطقت بالجوزاء وأنشدته:

من يأت هذا الموتُ لا يُلف حاجة لنفس إلا قد قضيتُ قضاءها

لا حول ولا قوة إلا بالله، ولما خرج كان بالمجلس من يحسده على مكانه من المنصور، فوجد فرصة فقال: وصل الله لمولانا الظفر والسعد، إن هذا الصنف صنف زور وهذيان لا يشكرون نعمة، ولا يرعون إلاّ ولا ذمة.

وينصح المنصور بالابتعاد عن مثل هذا الصنف، فرفع المنصور رأسه، وكان محبا في أهل الأدب والشعر، وقد اسود وجهه، وظهر فيه الغضب المفرط ثم قال: ما بال أقوام يشيرون في شيء لم يستشاروا فيه ويسيئون الأدب بالحكم فيما لا يدرون أيرضي أم يسخط؟ وأنت أيها المنبعث للشر دون أن يبعث قد علمنا غرضك في أهل الأدب والشعر عامة، وحسدك لهم لأن الناس، كما قال القائل:

من رأى النّاس لــه فضـــ ـــلا عليهم حســـــــدوه

وعرفنا غرضك في هذا الرجل خاصة، ولسنا إن شاء الله نبلغ أحدا غرضه في أحد، ويقول: ما أطرقت من خطاب الرمادي إنكارا عليه، بل رأيت كلاما يجلّ عن الأقدار الجليلة وتعجبت من تهدّيه له بسرعة، واستنباطه له على قلته من الإحسان الغامر ما لا يستنبطه غيره بالكثير، ثم حذر كل من في المجلس الحديث في شخص دون إذن منه، ثم أمر بأن يرد الرمادي، وقال له: أعد علي كلامك، فارتاع منه، فقال: الأمر على خلاف ما قدرت، الثواب أولى بكلامك من العقاب، فسكن لتأنيسه، وأعاد ما تكلم به، فقال المنصور: بلغنا أن النعمان بن المنذر حشا فم النابغة بالدّر لكلام استحسنه منه وقد أمرنا لك بما لا يقصر عن ذلك ما هو أنوه وأحسن عائدة، وكتب له بمال وخلع وموضع يتعيش به)) (57).

ويذهب صاحب المعجب إلى أن هذه العلاقة الطيبة ساءت بعد نكبة المصحفي ((لأن الرمادي كان مختصا بالمصحفي، وأن الأخير حمله على هجو ابن أبي عامر))(58)، فالتفت المنصور إلى الشاعر الرمادي ((وأوسعه عقوبة ونكالا وأمر بتغريبه فشفع له عنده في أن يتركه ببلده فأذن في ذلك، غير أنه خرج الأمر من جهته ألا يكلمه أحد من العامة ولا من الخاصة)) (59).

فعاش كالميت إلى أن أدركته الوفاة في آخر أيام المنصور (60). والمؤكد أن تلك العلاقة السيئة لم تستمر بقية حياة الرمادي، كما ذكر المراكشي، وذلك لأن الرمادي قد عاش بعد عهد المنصور، وشهد الفتنة (61). وليس بمعقول أن يظل الرمادي معاقبا من قبل المنصور حتى بعد موته وزوال عهده.

والمرجح أيضا أن هذه العلاقة السيئة لم تستمر بقية عهد المنصور استنادا إلى قول ابن سعيد فيه: ((إنه كان من مداح المنصور بن أبي عامر)) (62)، والمنصور كان يعتز به، كما تقدم في رواية المقري.

ويرد أحمد هيكل فترة اتهام المنصور الرمادي إلى أوائل عهد حجابته ، أما الجزء الأخير من حياته فإنه قرّب الرمادي له واعتز به كثيرا بعد أن صفح عنه لأنه أراد كسبه ، واستغلال موهبته الشعرية في الدعاية لعهده (63) .

والروايات تؤكد أن العمر امتد بالرمادي، فشهد عهد المظفر عبد الملك بن المنصور وحضر الفتنة – كما تقدم – قال صاحب مطمح الأنفس: ((وتمادى بأبي عمر طلق العمر حتى أفرده صاحبه ونديمه، وهُريق شبابه، و استشنّ أديمه ففارق تلك الأيام وبهجتها، وأدرك الفتنة فخاض لجّتها))(64) .

يتضح من هذه الرواية أن الرمادي أدرك الفتنة، ويجاريه في ذلك الحميدي، وأنه في هذه الفترة انقلبت عليه الأيام وتوفي سنة 403 هـ ، عن عمر يناهز القرن، فعاش فقيرا معدما .(65)

-شعر الرمادي:

للرمادي شعر كثير من غير شك، وذلك نظرا لنبوغه في قول الشعر، ونظرا لما عرف من سرعته فيه، ونظرا للشهرة التي كسبها في عصره بين العامة والخاصة إلى أن كثر حساده، ولعل الرواية التي أوردها المقري له مع المنصور بن أبي عامر لدليل قاطع على نبوغه وسرعته وشهرته في قول الشعر – كما تقدم – حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته، يقولون: فتح الشعر بكندة وختم بكندة، يعنون المتنبي والرمادي لأن الرمادي كندي النسبة أيضا، ومعاصر للمتنبي، ونظرا أيضا لطول عمره الذي قارب المائة.

ومجمل هذه العوامل أبرزت الرمادي كعلم من أعلام الشعر العربي في الأندلسي تميز بطريقة خاصة في النظم، فهذا ابن بسام يقول عند ذكر الأديب أبي تمام غالب (66) المقلب بالحجام: ((ووجدته قد سلك في الأوصاف طريقة الرمادي، فغرق في بحبوحة ذلك الوادي))(67).

كما نجد ابن العريف (68) قد أخذ لفظه ومعانيه في بعض أبياته، التي يقول فيها (69):

أيها الألثغُ الذي شفّ قلبي جدْ بنطق و لو نطقت بسبِّ
هجرُك الرّاء مثل هجري سواء فكلانا معــذّب دون ذنب
فإذا شئتُ أن أرى لي مثيــلا مــن هواني خَططْتُ راءً بجنبي

قلت أخذه عن الرمادي في قوله في غلام ألثغ من جملة أبيات ، منها (70) :

لا الرّاء تطمع في الوصال ولا أنا الهجرُ يجمعنا فنحن سواء
فإن خلوتُ كتبتُها في راحتي و بكيتُ منتحبا أنا والرّاءُ

وليس لدينا ما يفيد أن شعر الرمادي كان مجموعا في ديوان رغم أنه كثير ، إلا أنه لم يبق منه إلا قصائد ومقطوعات مفرقة في كتب الأدب والتراجم والسير التي عرضت للشاعر، أو بعض من أتصل بهم. وكان مما ضاع من شعره قصائده في المنصور ابن أبي عامر – كما تقدم – إلى جانب ما ضمنه كتاب الطير من شعره.

وحديثا يعد الأستاذ ماهر زهير جرار أول باحث –حسب علمي– قام بجمع شعر الرمادي وقدم له بدراسة في حياته وشعره، ليضاف هذا العمل الفني والتراثي إلى رفوف المكتبة العربية والعالمية.

تألف مجموع شعر الرمادي من أربعين وستمائة بيت، موزع على مائة وأربعين بين قصيدة ومقطوعة، أكبرها قصيدته في مدح القالي (71) وأقلها بيت واحد.

ومن يقرأ شعر الرمادي الذي وصلنا يجده يعتمد المقطوعات القصيرة التي تعبر عن مختلف مواقف حياته اليومية وواقعه الاجتماعي، هذه المقطوعات تتوزع بصفة خاصة على فن الغزل بالمذكر في أغلبه، ووصف الخمر ومجالسها ولونها وحبابها وساقيها، وكذلك الوصف ((الذي أرسى له دعائم ثابتة وفتح فيه أبعادا جديدة ستتكامل مع ابن خفاجة فيما بعد)) (72)، إلا أن هذه الفنون تقلصت لما وُوجهت بدافع قوي وهو السجن – كما سنرى فيما بعد – إذ انطلقت أشعاره فيه من خلجات الحزن العميق ودوافعه، ورده وضعه إلى شيء من التأمل في نفسه وفي نهايتها، وملأ أبياته بالبكاء حينا وبالشوق إلى الانطلاق أحيانا أخرى، وحلت العاطفة الجياشة محل التصنع الذهني في موضوعاته الأخرى من شعره.

–شعر الرمادي في السجن :

تقدم الحديث من أن الرمادي تعرض للسجن في عهد الخليفة الحكم المستنصر بالله، ثم في عهد الحاجب المنصور الذي سجنه هو الآخر بسبب الحاجب المصحفي كما تقدم.

وكثيرا ما يكون الهجاء السياسي سببا في إيصال صاحبه إلى السجن عقابا له، والرمادي اتخذ مواقف لم ترض الخليفة الحكم والحاجب المنصور، فسجن في عهديهما.

ففي عهد الخليفة الحكم، القي القبض على شاعرنا الرمادي مع جماعة من أهل الأدب، كانوا في موقف لم يرض الخليفة الحكم – كما تقدم – فوصف لنا ظروف القبض عليهم واقتيادهم إلى سجن الزهراء وهم مقيدون ومغالون في التوثق، ووصف الذين حزنوا عليه حتى شقوا أثوابهم، والشاعر من حالة الذهول الذي حل به، لو طلب الموت لتغافلت، وأمام هذا الوضع الصعب يرى أن عينيه قد نفد دمعهما، ولم يبق فيهما ما يؤكد صبره، يقول (73):

فوافوا بنا الزّهراء في حال خَلّـــة ... تلائـم لاستيفائهـم في التّـوثّــقِ
و حــوليَ من أهل التّأدّب مأتـمٌ ... و لا جُوْذرٌ إلاّ بثـــوب مُشقَّــق
فلو أنّ في عيني الحِمامَ كروضِهـا ... و إن كان في ألوانه غير مُشفِــق
و نادى حِمامي مهجتي لتغافـلــت ... فهـــلاّ أجابتْ وهو عندي كبخنقي

أعينيَّ إن كانت لدمعِك فضلـةٌ تُثبِّـتُ صبري ساعـةً فتدفَّـــقي
فلو ساعدت قالت أمـنْ قلَّـة الأسى تَبَقَّتْ دموعي أمْ من البحر تستــقي

لعل وجود الشاعر في السجن دفعه إلى الغزل في المذكر لأسباب خاصة – كما سنرى – لكنها لا ترقى لتصبح ظاهرة عامة، كما هو الشأن بالنسبة للغزل في المرأة، وقد عبر أحمد عبد العزيز على هذه العلاقة بين الحب والسجن، بقوله : ((من الجلي أن سجن الجسد يمتد تأثيره إلى الروح حيث تسجن المشاعر والأحاسيس، ومن ثم فإنها تثور ثورة عارمة محاولة الإفصاح عن نفسها. وأعظم هذه المشاعر عاطفة الحب الذي يولد ويتأجج بن جدران السجون والمعتقلات، فالنفس الإنسانية دائما في حاجة إلى من يواسيها، ويرثي لها، ويمنحها السلوى، ويبث فيها الأمل ويمنحها فوق ذلك الحب حتى تحب الحياة وتبتعد عن اليأس والتشاؤم.

و هكذا فإن الشاعر يستلهم المرأة ويطلب عونها وحبها له وأسفها عليه وحزنها من أجله في وقت الشدة. إنه يتخيلها –كما يرسمها خيال الشاعر العربي غالبا – باكية عليه متحسرة شديدة الزفرات والحرق. وعلى الرغم من الشدائد التي يعانيها الشاعر فإنه يتجلد ويحاول أن يبدو شجاعا أمامها، بل – وأكثر من ذلك – إنه يهدئ من روعها وفزعها عليه، ولكن بأسى عميق وحزن دفين)) (74).

وبعد وصف الشاعر لظروف القبض عليه ونقله للسجن، فها هو ذا يستلهم المرأة ويطلب عونها وحبها له وحزنها عليه في وقت الشدة – كما عبر عن ذلك أحمد عبد العزيز – في هذا الحوار الذي يديره مع محبوبته أو زوجته التي تطلب منه بأسئلتها التي يستعصى الإجابة عنها إلى أن يعتب الدهر، ويلتمس لها العذر وذلك لجهلها بطبع الدهر، وهل يستطيع أحد على إعتابه، ثم تسأله قائلة: تظن الدهر يجمع بيننا؟ ، فيرد عليها: من لي بظن محقق؟، ففي هذا الحوار الذي ابتدأ به هذا الجزء من القصيدة، يستسلم لقضاء الله وقدره ولا يستطيع أن يحقق ما ظن، فيصل إلى بثه حنينه وأشواقه وأمله في أن يجمع شملهما بعد التفرق، بعد لقاء طيفيهما بأشفاره رغم طول البعاد، فيجدها باكية، ويقوم بنصحها بالعدول عن ذلك حتى لا ينفد دمعها، رفقا بها إلى أوانه، فقد أصبحت مضيعة بعده ومزقها العي (75):

تكلِّفني أن أُعتب الدَّهـــــــر إنَّها لجاهلة، مـن لـي بإعتاب مُحنَـق
و قالت: تظنُّ الدَّهرَ يجمع بيننا ؟ فقلت لـهـا: من لي بظـنّ محقَّق ؟

و لكنّني فيمـــا زجـــــرتُ بمقلـتي زجرتُ اجتماع الشَّمل بعد التّفرُّق
فقد كانت الأشفار في مثل بُعدنـــا فلما التقتْ بالطَّيف قالت: سَنلتقي
أباكيــةً يومـا و لـم يَـــأْنِ وقتُـــــه سينفُــد قبـل اليومِ دمعُكِ فارفِـقي
و مذ لم تَريني أنتِ في ثوب ضائع لعمــري لقـد جفَّـت بِعَـــيٍّ ممزَّق

ويرى أحمد هيكل أن هذه المقطوعة من شعره الجيد الذي ينسب إلى فترة أواخر عهد الخليفة الحكم، وطوال عهد المنصور، ويؤكد قوله بأنه تحقق فيها كثير من الترابط، الذي يؤلف فيما بينها ما يقارب الوحدة العضوية، ويلاحظ عليها صدق التجربة الباعث على حرارة العاطفة، وترقرق التعبير المسبب لقوة التأثير، ثم يلازم الموسيقى الشعرية مع الموضوع ورزانته والانفعال وضخامته (76).

ونجد الرمادي السجين لا يفارقه طيف الحبيب، فقد أثر فيه العاملان معا فها هو يسائل محبوبته، أما يكفيه أنه صار نحيلا متعبا، يتساقط دمعه غزيرا وقد تكنفه همان، حزن لسجنه وصبوته، فتحققت أماني الوشاة والعذال فيه، وإذا كان هم سجنه يبدو أثره في وجهه فإن هم حبه يغيب في أحشائه، فهو معنى بكتمان الحبيب، فإذا حاول قتل الكتمان، بإفشاء سر حبه، فإنه يقتل نفسه، يقول (77):

نُسائلهـا هــلاّ كفـاك نـحُولــه و نَصْبتُـــــه أو دمعتُـــه وهُمولُـــه
تكنَّفه همَّان: شجوٌ و صبــوةٌ فبُلِّـــغ واشيه المنُى و عَذُولـــــــه
فإن يَستبِن في وجهه هَمُّ سِجنه فقد غاب في الأحشاء عنكِ دَخيلــه
معنًّى بكتمان الــحبيب وحبِّــه فـإن يقتــل الكِتمانُ فهـــو قتيلــه

وينسب أحمد مختار البرزة تطور المطلع الغزلي في قصيدة السجن، إلى الشاعر الرمادي، ويراه ((بوحا شاكيا يبث الهموم والعذاب الدفين، فغلبت الذات على الإطار واتخذت ألفاظ الغزل العاطفية للتعبير عن آلام الحبس فاحتملت طاقة إضافية واكتسبت قيمة رمزية في سياقها الجديد)) (78).

وهذه الألفاظ مثل: النحول، الدمع، الشجو، الصبوة، المنى، العذول، الكتمان، ((لا تنشر في السجن أطياف الصبابة، بل ظلال الهموم والآلام وكأنها يلقي عليها شفافة رقيقة حتى لا

تنساح بعنفها وغليانها. فالإطار يعدل هنا من الحدة العاطفية والعاطفة تجعل جزئيات هذا الإطار رموزا مشعة بمعان خبيئة شفافة))(79).

ويشير الشاعر إلى من أقبل من طرف محبوبته ، فينظر من ثقب الباب لعله يبصر البرق المرسل من قبلها ، وإن كان وكيلها لا يسمح بذلك ، ويتمنى لو كانت قريبة منه ومن سجنه لأنها الملاذ الوحيد عندما تشتد المحن وتتأزم ويصعب عليه مواجهتها ، ((فالحب هو الصدر الحنون الذي يختبئ فيه الشاعر من مصائب الزمن...ذلك لأن الحب بما فيه من طاقة عاطفية متدفقة يمكنه أن يصنع المعجزات بما في ذلك إبعاد الشاعر عن السجن)) (80) .

ويعلل الشاعر فزع المحبوبة وابتعادها عن السجن، لأنه مخشي حتى لو كان مع من يهوى ويحب، فكيف لهذه الوردة الجميلة أن تقترب من سجنه أو تلجه، وفيه عاشقها الهائم بها، فيقول (81):

و أقبلن من نحو الحبيب كأنّما	تحاشَدَ نحوي جَفنُـه و نُصولــهُ
دعوني أشِمْ بالباب برقَ أحبَّتي	قـواما فلـم يسمح بــذاك وكيلــه
يَعُـمُّ فلا يألُـوا حصـــارا لعلَّــه	سَيُـودي فيـودي بثُّــه وأليلُـــه
فلو كان في هذا الحصار سمِيُّه	لأنساه طولَ السَّبع في اليوم طُوله
لقد راعني سجن فشطَّ و لو دنــا	من السّجن لم يسهل عليَّ دخـوله
يعِـزُّ على الورْد النَّضير حُلولُه	و لـم يك عند الـمُستهام نُـزولــه

ولا يكتفي الرمادي بوصف ما يعانيه في سجنه، وهو يرى أن المحبوبة تتقاسم معه هذه الهموم، لكنه أحيانا يمزج ذلك بالطبيعة، فتكون كمقدمة لموضوعه ((ففيها تتجلى قدرة الشاعر في تحقيق الوحدة؛ حيث يقع كل بيت بل كل شطر من بيت، في موقعه لا يمكن أن يخرج عنه، ثم كذلك تتجلى قدرة الشاعر في الربط بين مشاعره وبين الطبيعة))(82)، فهو يشرك عناصرها الحية والصامتة في البكاء عليه، فالسحاب يهمي بكاء عليه، والحمائم من جزعه تهتف وتبكي، بل إنه أشبه بميت يغسله السحاب الواكف، وتنوح عليه على فقده الحمائم الهاتفة.

وقد ظغنت محبوبته (ليلى) برفقة أهلها وخدمها، ولكنه هو باق، فليلم اللائمون إذن وليعنف المعنفون، فهم في الواقع متجنون، فماذا يضيره منهم جميعا؟ والشاعر يجد الطبيعة

أحست فراق وتخلي المحبوبة وتأثرت لبعدها ، فها هو يشخص الصباح، فيتمثل وجهه نحيلا مريضا حزينا بدوره كالشاعر قد فارقه من يحب، يقول (83):

على كبدي تَهمي السَّحاب و تذرفُ و من جزعي تبكي الحمام و تهتفُ
كأنّ السّحـــاب الواكفات غــواسلي و تلك على فقدي نوائــح هُتَّـــف
ألا ظعنــتْ ليلى و بـــان قطينُـها و لكنّني بـــاق فلومــوا و عنِّفــوا
و آنستُ في وجــه الصــباح لبَيْنـها نـحولا كأنّ الصُّبـح مثلي مُدْنَـف

ويتذكر الرمادي آخر عهده مع من اسمها (ليلى) حين أطفأت حرارة نفسه التي شبهها بالصيف، برشفه فسكنت وعادت كالشتاء البارد، ويربط بين حالتها وهي خائفة حينذاك، وحاله وهو يرسف في القيود، فيعكس عليها كل ذلك إذ يتمثل خلاخيلها في مشيتها المضطربة، قيودا تكبلها، ووجهت إليه السلام ببنانها اللامع إشارة سريعة، كأنها البرق، وكأن معصمها الكافور بياضا، وهذا إحساس نفسي يستوحيه الشاعر من وضعه في السجن، فيقول (84):

و أقربُ عهدٍ رشفـةٌ بلّت الـحشا فعــاد شتاءً بـاردا و هـــو صَيِّفُ
و كانت على خوف فولَّت كأنّهَا من الـرِّدْف في قيد الخلاخل ترسُف
و أهدتْ سلاما عن بنان كأنّها الـ ـتماعا و وحيـــا بارقٌ مُتخطِّـف
بمعصم كافـــورٍ بياضا ، تُكنّـــه بغاليـــةٍ مـن صِبْغِـه و تُطـــرِّف

ويضيف الرمادي في هذه الأبيات مسترسلا، كم جمعتهما الليالي ثم أدبرت تنوح على تفريقهما، وتتلهف اجتماعهما ثانية، وفي ليلة من ليالي أنسهما قد غمرهما ظلامها بكؤوس الخمر التي تبدو كالوجوه المنيرة، وهما يرتشفانها إلى أن يظهر وجه الصباح الذي يشبه سيدنا يوسف لجماله، وينقشع ظلام الليل الذي يشبه لقمان في طول عمره وسواد لونه (85):

و كم ليلةٍ قد جمعتنا و أدبرتْ تنـوح على تفريقنا و تَلهَّـفُ
و ليلـة أنس قـد غمرنا ظلامـها بأوجه راحً تستنيـر فتُرشَـف
إلى أن بدا وجهُ الصَّباح كأنَّما تحمَّل لقمانٌ و أقبل يوسـفُ

ويشير أحمد مختار البرزة، بقوله: ((تتلاقى مقاصد الشاعر الأسلوبية بأحواله النفسية حيث تتمازج مشاعره الحزينة مع التعابير والصور الغزلية قديمها وحديثها ومع الألوان التزيينية من

البديع، فيخرج خليط من العمل الأدبي، يكاد الشعور الصادق فيه تطمره كثافة العمل اللفظي))(86)، هذه الإشارة ركز فيها على هذه الأبيات للرمادي (87).

يتضح، مما تقدم، أن الرمادي في شعره، في السجن، قدم لموضوعاته بمقدمات غزلية، ومع ما يدل عليها من نزعة تقليدية، ((فإنها في الحقيقة نابعة من طبيعة الموضوع متصلة به، وهي لا تفقده صدقه وعفويته، كما لا تنقص من حرارة انفعال الشاعر، بل ربما كان ذكر المرأة بين يدي القصيدة سببا في ازدياد الانفعال ودرجته)) (88).

و ها هو الرمادي في هذه القصيدة – إلى المقدمات في المؤنث – يقدم لها بمقدمة غزلية في المذكر بثمانية عشر بيتا، ثم تشفع في سبعة أبيات فيمن سماه سعد وابنه أحمد، والقصيدة تصل إلى خمسة وعشرين بيتا.

يستهل الشاعر قصيدته مستفهما عن سبب امتناع طيف هذا المحبوب، إذا كان السجن قد منعه من وصاله، ثم ينحى باللائمة على نفسه، فالعيب عيبه، إذ لم تنم عينه حتى يطرقه طيفه، فزوال منامه هو علة زوال الطيف وعدم زيارته، ويفتديه الرمادي ولا ينساه مع ما حل به من بلاء، مع أن من في مثل حاله من السجن ينسى اسمه، ويرى أن صدوده أقسى عليه من السجن، حتى إن السجن صار قطعة من صدوده، وطول اكتئاب الشاعر جزء من ملاله وهجره، ويصور هجره مع دلاله بمن يخلط له السم في العسل، وإن قلب الرمادي ليحسد ترب نعال محبوبه، كما أن ترب نعاله يحسد قلب الشاعر (89):

هبوا أن سِجني مانع مــن وصالــه ... فما الخطب أيضا في امتناع خيالهِ؟
نعم ، لم تنم عيــني فيطرُقَ طيفُـه ... زوالُ منــامي علــةٌ لــزوالــه
فـدا الصبُّ من لم ينْسَه في بلائه ... وينسى اسمه من كان في مثل حاله
ومن صار سِجني قطعةً من صُدوده ... و طـول اكتئابي شَعبةً من مَلالــه
و من لم يشُب شهدا بسُمـٍّ لطاعم ... إلى أن بــدا لي هجــرهُ في دلالــه
و لـم تــر عيني حاسـديْن تبايــنا ... عليــه سوى قلبي وتُــرْبَ نِعالــه

ولعل هذا الغلام من طبقة يخشى بأسها، لأن الرمادي طوى اسمه حذرا، أو خوفا على نفسه التي يبغى لها الشفاء، فإنما يخشى اعتلال الحرج عندما يقترب التئامه، وما حاجته في التصريح باسمه، وإنما يكفيه تصريحا أن يصف جماله، فهو الغصن النضير، إذا ما نظر

الشاعر إلى قده واعتداله، بل إنه ليفوق الغصن، في محاولة منه تقريب الصورة إلينا، ثم يذكر الرمادي أن ما في شعره من حسن إنما يرجع إلى نفثه محبوبه في فمه قبل قطع وصاله، فهو إنما ينطق بالسحر الحلال، ويشبه نفسه بابن سيرين الذي اشتغل بتفسير الأحلام وتعبير الرؤى لنفثة نفثها فيه يوسف عليه السلام، والشاعر متأثر هنا بالقرآن الكريم مستحضر قصة سيدنا يوسف وعلمه بتعبير الرؤى وتفسيرها، وإذا كان هذا وضع ابن سيرين مع سيدنا يوسف في منامه فما العذر بالشاعر إذا نفث المحبوب في فيه وقت يقظته، يقول (90):

و إنّي لأطـويه حِـــذرا و إنّما ... يُخاف اغتيالُ الجرح عند اندمالـــهِ
و ما أرَبي في أن أصـرِّح باسمه ... كفاه من التّصريح وصفُ جمالــه
ألا بأبي الغصـــنُ النَّضير وإنّما ... كَنَيْتُ بـــه عن قــدّه واعتدالــه
فإن فاقـــه حسن الحبيب فإنّما ... أقَـــرِّب مـــا أعني وجود مثالــه
و ما حسن هذا الشّعْر إلا لنفْثةٍ ... له في فمي من قبْل قَطْع وصالــه
نطقتُ بسحر عنـدها غير أنّــه ... من السّحر ما لم يُختَلف في حَلاله
كذاك ابن سيـرين لنفثه يوسـف ... تكلّـــم في الرّؤيـا بمثل مقالــه
أمتثـل في نفثـــه مـــن منامـــه ... فما العذر باليقْظان عند امتثالــه

ثم يدعو الشاعر السجين إلى تأمل محبوبه بالنظر إلى صدغيه، فليصرف الناظر إليهما لحظه كله، وليتجنب النظر إلى عينيه، حتى لا يرشقه بنصالهما، ثم يصف عذاره وخاله، مستخدما مصطلحات الكتابة و الضبط، كالإعجام أو النقط، وحرف النون (91):

ألا اصرف إلى صدغيه لحظك كلَّـه ... و دع لـحظهُ مستغنيا عن نصالــه (92)
تـــرى فيهما نونين عُطِّـــل واحـــدٌ ... و آخـــر مَعجـوم بنقطـــةِ خالــه
محا كاتبُ اليُمنى دجى العُجمة التي ... على النّون في اليسرى بحسن احتياله
لـــدُن حُلِيَتْ بالعَجْم نُـون يَـمينِـــه ... و عُطِّلَت النّـــونُ التي في شمالـــه

وفي الاستشفاع والاستغاثة بمن اسمهما سعد وأحمد، والأول أبو الثاني ويخاطبه بلفظ السيد، جاعلا من نفسه عبدا يرجوه ويعول عليه، ولا يجري بباله سواه، إذ إنهما أقوى حباله، ولذلك فهو يستعين بهما لإخراجه من قعر الهوة التي وقع فيها وهي المطبق، وهو لم يشفع بأحد سواهما وكان حريا به أن يشفع بهما وبغيرهما وهو في هذه الحال من الضيق،

ولكنه آثرهما متفائلا بهما، ففيهما السعد والحمد، ونعم الفأل، وإذا صار سعد وابنه معقلا له، فلا عذر في إطلاقه من عقاله (93):

و يا سيدي عبـدٌ رجاكـــــم مُعـوِّلٌ عليكم و لا يجري سواكم ببالــه
و هل يستعين المرء في قعــر هُــوَّة لإخراجـــه إلّا بأقوى حِبالـــــه
هـــل أبصرتموه شافعا بسواكـــــم وأفسِح لعبد وهو في ضِيق حالـه
و ما كان إلا فألُ سعــدٍ و أحمـــــد إذا صـــرَّح الدّاعون أيْمن فالــه
و إذ صار سعد و ابنه معقِلا لـــــه فما العذر في إطلاقه عن عِقاله
و يا عارضا كالعارض الجون إستجز من الفكر ما أعطاك عند كَلاله
لئن أصبحتْ مجهودَ ذهني بِشُعْلـــة فكم قال فيكم فوقها في ارتجالــه

وقد سجن الشاعر، ومعه غلام من أولاد العبيد، قال: ((يخاطب الموكل بباب السجن في شأن هذا الغلام:

حبيسُك ممّن أتلف الحبُّ قلبَه و يَلذعُ قلبي حُـرقةٌ دونـها الجمــرُ
هلال و في غير السّماء طُلوعــه و رئــمٌ و لكن ليس مسكنَه القَفْــر
تأمَّلتُ عينيه فخامرني السُّكْــر و لا شكّ في أنّ العيونَ هي الخمْر
أُناطِقُـه كيما أقــولُ و إنّمـــا أناطقُـــه عمْـــدا لينتثر الـــــدُّرُّ
أنا عبده و هو المليك كما اسمُه فلي منـــه شَطر كامـلٌ و له الشَّطر)) (94)

ففي هذه المقطوعة التي يصف فيها حال الغلام وحاله معه، وهو يخاطب الموكل بباب السجن، وقد أتلف الحب قلبه ولذعته حرقة تفوق الجمر وهجا، وينعته بالهلال الذي يطلع في غير السماء، والرئم الذي لا يسكن القفر، وحين تأمل عيونه انتابه السكر لأنها لاشك هي الخمر، ويتعمد الحديث إليه لكي يرى در أسنانه منتثرا ، ويختم الشاعر مقطوعته جاعلا من نفسه عبدا للغلام، والغلام العبد ملكا يتحكم في شاعرنا، ((إنه سلطان الحب الذي يقلب موازين الأشياء، ويوحد بين العبد والملك ليتكون منهما اسم الغلام))(95).

و الباحث بسيم عبد العظيم فإنه يستنتج من البيت الأخير أن اسمه ((كان "عبد المليك " فأخذ الرمادي شطر اسمه " عبد " وترك له الشطر الثاني وهو " المليك "، وقد كان الرمادي

يلوم الأيام على سجنه، ولكنه عاد يشكرها بعد أن دخل هذا الغلام السجن لأنها قربته منه)) (96).

ولعل الرمادي يشترك مع محمد بن مسعود اليماني المنتسب إلى غسان (97) الذي سجن معه الشريف الطليق (98) في شكرهما للدهر الذي قرب الرمادي من هذا الغلام الذي يراه ملكا وهو عبد له ، و ابن مسعود البجاني كلف بالطليق حين وجد غلاما وسيما، فتصور نفسه أحد اثنين دخلاء السجن مع يوسف الصديق رمز الجمال، فقال يذكر ذلك في سجنه (99):

غدوتُ في السّجن خدنا لابن يعقــوب و كنت أحسب هذا في التّكاذيبِ
رامت عُــداتي تعذيبي و ما شعـرتْ أنّ الــذي فعلــوه ضــدّ تعذيبي
راموا بعــــادي عن الدّنيــا و زخرفـه فكان ذلك إدنــائي و تقــريــبي
لــم يعلموا أنّ سجْــني لا أبا لــــهم قــد كان غايةَ مأمــولي و مرغوبي

فالسجن أتاح لهما أن يعبرا عن سلوكهما الماجن الشاذ، وهما بين جدران السجن ، وإن كانا لا يخفيان حقيقة ما يشعران به من أسى وحزن، فيسعيان إلى الظهور أمام أعدائهما والشامتين بهما بمظهر الرضى، ويتخذان رفيقيهما المذكورين وسيلة للتسلية.

لقد طرق الرمادي شعر السجن، كفن مستقل لذاته أحيانا، وأخرى كانت مطالعه أبياتا غزلية قد تطول وقد تقصر، كما سبق، فاتخذ منها وسيلة ومسلكا للتخلص إلى موضوعه، كما قدم له بوصف الطبيعة.

وبالنظر إلى شعر الرمادي الذي عبر فيه عن نكبته ، فإننا نلاحظه – كشأن الشعراء السجناء الآخرين – يحاول بالكلمة إثارة عطف وشفقة الحكام – يتخذ من الشعر وسيلة للاستعطاف ويتشفع بها لدى الخليفة الحكم بابنه هشام المؤيد، وكذلك لدى الحاجب المنصور، ووصف همومه، وكيف فقد حريته.

وما وصلنا من شعره في السجن كان قد نظمه على البحر الطويل، وشاع في معجمه ألفاظ تدل على مأساته في سجنه بالزهراء، وتبين حالة الأسى والكآبة التي يعاني منها، وهي تدل على صدق التجربة.

واتضح، بعد دراستنا المتواضعة لشعر الرمادي السجين، أن الصور البيانية فيه مختلفة ومتنوعة، وحلاها بالألوان البديعية هي الأخرى، وقد استلهم من الموروث الديني والثقافي والأدبي، المشرقي والأندلسي، ما مكنه من التأثير في قارئيه ومتلقيه، الشيء الذي حدا بهم بالانفعال معه، والوقوف إلى معاناته إلى حد كبير.

هوامش وتعليقات :

1 – قال المقري: ((ومن كهلان من ينتسب إلى كندة، وهو ثور بن عُفير بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد، ومنهم يوسف بن هارون الرمادي الشاعر)). المقري ، أحمد بن محمد (ـ 1049 هـ). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب. دار صادر. بيروت. 1968. ج 1ص 296.

2 – كناه ياقوت الحموي بأبي بكر، والذين ترجموا له لم يذكروه بهذه الكنية ، هذا ما يؤكد عدم صدقها. معجم الأدباء. تحقيق أحمد فريد الرفاعي. مكتبة عيسى البابي. القاهرة. 1936. ج 2 ص 62.

3 – ابن بشكوال. الصلة. الدار المصرية للتاليف والترجمة والنشر القاهرة . 1966. ص 674.

4 – الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. تحقيق إبراهيم الأبياري. دار الكتاب اللبناني. بيروت. 1983. ص 396.

5 – ابن خلكان. وفيات الأعيان. تحقيق إحسان عباس. دار الثقافة. بيروت. 1968. ج 7 ص 225.

6 – ابن سعيد. المغرب في حلى المغرب. تحقيق شوقي ضيف. دار المعارف. مصر. ط 3. 1978. ج 1 ص 393.

7، 8 – ابن حيان. المقتبس في أخبار بلد الأندلس. تحقيق عبد الرحمن علي الحجي. دار الثقافة. بيروت. ص 56، 74.

9 – آنخل بالنثيا. تاريخ الفكر الأندلسي. ترجمة حسين مؤنس. مكتبة النهضة المصرية. القاهرة. ط 1. 1979. ص 68.

10، 11 – الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. 369، 370.

12 – الضبي. بغية الملتمس. دار الكتاب العربي. القاهرة. 1967. ص 493.

13 – ابن بشكوال. الصلة. 674.

14 – ياقوت الحموي. معجم الأدباء. 2: 62.

15 – ابن خلكان. وفيات الأعيان. 7: 225.

16 – ابن سعيد. المغرب. 1: 365.

17 – رمادة: موضع بين الإسكندرية وبرقة. انظر: الحميري. الروض المعطار في خبر الأقطار. تحقيق إحسان عباس. دار القلم للطباعة. بيروت. 1975. ص 268.

18 – بطليوس: مدينة بالأندلس، وهي حديثة، بناها المسلمون، وهي مدينة جليلة في بسيط من الأرض. انظر: الحميري. المصدر نفسه. 93.

19 – الضبي. بغية الملتمس. 493.

20 – الرمادي، يوسف بن هارون. شعره. جمع وتقديم ماهر زهير جرار. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. بيروت. ط 1. 1980. ص 111، الثعالبي، أبو منصور. يتيمة الدهر يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر. تحقيق محمد محي الدين. دار الفكر. بيروت. ط 3. 1973. ج 2 ص 100.

21 – أحمد هيكل. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. دار المعارف. مصر. 1982. ص 284. هامش .1

22 – إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة. درا الثقافة. بيروت. ط 6. 1981. 205.

23 – هو يحي بن هذيل بن الحكم بن عبد الملك بن هذيل بن إسماعيل بن نويرة بن مالك التميمي القرطبي، ففيها ولد سنة 305 هـ، ونشأ في بيئة ثقافية مزدهرة، في القرن الرابع الهجري، فتلقى ثقافة لغوية وأدبية ودينية متنوعة عن شيوخ زمانه، فقد ذكره الحميدي أنه كان من ((أهل العلم والأدب والشعر، غلب عليه الشعر فصار من المشهورين به، وقد سمع الحديث)). جذوة المقتبس. 381. توفي سنة 389 هـ، بعد أن كف بصره فأصبح يعرف بالكفيف. انظر ترجمته: ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس. الدار المصرية للطباعة والنشر.

القاهرة. 1966. ج ص95، الضبي. بغية الملتمس. 509 – 510، المقري. نفح الطيب. 3 : 73، إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة. .214

24 – إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة. درا الثقافة. بيروت. ط 6. 1981. 205.

25 – ابن بسام. الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. تحقيق إحسان عباس. الدار العربية للكتاب. ليبيا – تونس. ط 1. 1979. ق 3 م 1. ص 346 – 347.

26 – الرمادي. شعره . 111. الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. 370.

27 – ياقوت الحموي. معجم الأدباء. 2 : 62.

28 – الأمير أرقم بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذي النون، كان أخوه إسماعيل هو أول من ملك طليطلة من بني ذي النون. انظر ذلك: ابن سعيد. في المغرب. 2: 14، المقري. نفح الطيب. 4 : 133 – 134.

29 – ابن سعيد. المغرب. 2: 14.

30 – مصعب بن عبد الله بن محمد بن يوسف يعرف بابن الفرضي، شاعر، كان حيا قبل 440 هـ. انظر: الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. 352.

31– ياقوت الحموي. معجم البلدان. 2: 52.

32– إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة. 206.

33 – سرقسطة: تقع في شرق الأندلس، وهي المدينة البيضاء، وهي مدينة كثيرة الفواكه. وأُخذت من أيدي المسلمين سنة 502 هـ. انظر: الحميري. الروض المعطار. 317.

34، 35 – الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. 371، 371.

36 – ابن حزم. طوق الحمامة. تحقيق الطاهر أحمد مكي. دار المعارف. مصر. ط 3. 1980. ص 40، الضبي. بغية الملتمس. 493 – 494.

37 – انظر الرمادي. شعره. القطعة رقم 110.

38 – الضبي. بغية الملتمس. 394.

39 – هو محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ، ويشتهر بفرحون. كان واليا على شنترين بغرب البلاد. انظر: ابن الأبار. الحلة السيراء. تحقيق حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة والنشر. القاهرة. ط 1. 1963. ج 1 ص 280.

40 – شنترين: بالأندلس مدينة معدودة بكور باجة. انظر: الحميري. الروض المعطار. 346 – 347.

41 – ابن الأبار. الحلة السيراء. 1: 280.

42، 43، 44 – الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. 13، 13، 16.

45 – الرمادي. شعره. 73 – 74، الحميدي. المصدر نفسه. 14 – 15.

46 – الرمادي. شعره. 118، الحميدي. المصدر نفسه. 373.

47 – ابن خاقان أبو الفتح. مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس. تحقيق محمد علي شوابكة. مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 1. 1983. ص.317

48 – ابن خاقان. المصدر نفسه. .317

49 – الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. 372.

50، 51، 52، 53 – ابن حيان . المقتبس. 194، 203، 206، 207.

54 – أبو الحسن جعفر بن عثمان بن نصر بن فوز بن عبد الله بن كسيلة الحاجب المصحفي، من بربر بلنسية، أديب عمل كاتبا أيام الناصر لدين الله، وتقلد خطة الوزارة إبان خلافة الحكم المستنصر، ولما آلت الخلافة إلى هشام المؤيد، تصرف في أمور الدولة، لكن المنصور محمد بن أبي عامر صرفه عن الحجابة وأودعه السجن، واستمرت البلية عليه سنين إلى أن مات سنة 372 هـ. انظر: الحميدي. جذوة المقتبس. 289، وفيها المعروف بابن المصحفي، ابن خاقان. مطمح الأنفس. 153 – 166، ابن بسام. الذخيرة. 1/4: 58، الضبي. بغية الملتمس. 257، المراكشي، عبد الواحد. المعجب في تلخيص أخبار المغرب. تحقيق محمد سعيد العريان القاهرة. 1960. ص 62، ابن الأبار. الحلة السيراء. 1: 257 – 267، ابن سعيد. المغرب. 195 – 196، ورايات المبرزين وغايات المميزين تحقيق النعمان عبد المتعالي. لجنة إحياء التراث الإسلامي. القاهرة. 1973. ص69، ابن عذارى أبو عبد الله المراكشي. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب. تحقيق ح. س. كولان، وليفي

بروفنسال. دار الثقافة. بيروت. ج 2 ص 267، ابن الخطيب، لسان الدين. أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الإحتلام من ملوك تلمسان. تحقيق ليفي بروفنسال. دار المكشوف. لبنان. ص 60 – 61، المقري. نفح الطيب. 1: 402، امحمد فورار. ما تبقى من شعر الحاجب المصحفي الأندلسي(– 372 هـ). مجلة صحيفة دار العلوم. القاهرة. عدد24. ديسمبر 2005.

55 – المراكشي. المعجب. 70.

56– ابن حيان. المقتبس. 204.

57 – المقري. نفح الطيب. 3: 364 – 365.

58، 59، 60 – المراكشي. المعجب. 70، 70 – 71، 71.

61 – الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. 373.

62 – ابن سعيد. المغرب. 1: 392.

63 – أحمد هيكل. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. 286.

64 – ابن خاقان. مطمح الأنفس. 312.

65 – الحميدي. جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. 370.

66 – هو أبو تمام غالب بن رباح المعروف بالحجام. يقول ابن بسام: ((كان معدودا في شعراء عصره إلا أنه كان متخلف في شعره)). الذخيرة. 2/3: 821، ويقول المقري فيه: ((وكان المذكور ربي في قلعة رباح غربي طليطلة، ولا يعلم له أب، وتعلم الحجامة فأتقنها، ثم تعلق بالأدب حتى صار آية فيه)). نفح الطيب 3: 415، انظر: ابن سعيد. المغرب. 2 : 40، ورايات المبرزين لنفس المؤلف. 82 .

67 – ابن بسام. الذخيرة. 2/3: 821.

68 – هو حسين بن وليد بن نصر أبو القاسم القرطبي، المعروف بابن العريف (– 390 هـ). كان نحويا عالما بالعربية متقدما فيها، أستاذ في الأدب ، مقدم في الشعر، وله رحلة إلى المشرق، وبعد عودته كان يحضر مجالس المنصور بن أبي عامر الأدبية واللغوية، وأدب أبناء المنصور بن أبي عامر. انظر ترجمته: ابن الفرضي. تاريخ علماء الأندلس. 1: 114 – 115، الحميدي. جذوة المقتبس. 194 – 195.

69 – ابن بسام. الذخيرة. 1/1: 309.

70 – الرمادي. شعره. 51، ابن خلكان. وفيات الأعيان. 7: 227.

71 – الرمادي. المصدر نفسه. 111 – 117.

72، 73 – الرمادي. المصدر نفسه. 47، 92 – 93.

74 – أحمد عبد العزيز. قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي. مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة. ط 1. 1990. ص 101.

75 – الرمادي. المصدر نفسه. 93.

76 – أحمد هيكل. الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة. 294، 295.

77 – الرمادي. شعره. 103.

78، 79 – أحمد مختار البرزة. الأسر والسجن في شعر العرب. مؤسسة علوم القرآن. دمشق – بيروت. ط 1. 1985. ص 656.

80 – أحمد عبد العزيز. قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي. 104.

81– الرمادي. شعره. 103 – 104.

82 – أحمد هيكل . الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلاف . 296 .

83 ، 84 – الرمادي. شعره. 88 – 89، 89.

85 – هذه الأبيات وردت في شعر الرمادي في قطعة منفصلة رقم 70، ويشير إحسان عباس في كتاب التشبيهات لابن الكتاني من تحقيقه. دار الثقافة. بيروت. ص 35 هامش 4. يقول لعل البيتين من قصيدته ((على كمدي تهمي السحاب وتذرف))، ويرجح بسيم عبد العظيم عبد القادر إبراهيم في كتابه شعر السجن والأسر في الأندلس. جمع وتوثيق. مكتبة الخانجي. القاهرة. ط 2. 1996. المجموع. 28. هامش 3. أن هذه الأبيات الثلاثة من نفس القصيدة، ونحن نرجح أيضا أن البيتين والبيت الثالث من نفس القصيدة لوجود ترابط بينهما.

86، 87 – أحمد مختار البرزة. الأسر والسجن في شعر العرب. 570 – 571، 571. هامش 1.

88 – علي لغزيو. أدب السياسة والحرب في الأندلس. دار المعرفة للنشر والتوزيع. الرباط. 1987. ص 373.

89، 90 – الرمادي. شعره. 108، 108 – 109، بسيم عبد العظيم عبد القادر إبراهيم. شعر السجن والأسر في الأندلس، المجموع. 39 – 40.

91 – الرمادي. شعره. 109.

92 – وردت كلمة صدغيك في شعر الرمادي، ولكن أحمد عبد العزيز غيرها لعدم ملاءمة المعنى إلى كلمة " صدغيه " في كتابه قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي. 421، وأكدها بسيم عبد العظيم في دراسته القيمة لشعر السجن والأسر في الأندلس، الجمع والتحقيق. 40.

93، 94 – الرمادي. شعره. 110، 71.

95 – أحمد عبد العزيز. قضية السجن والحرية في الشعر الأندلسي. 94.

96 – بسيم عبد العظيم. شعر السجن والأسر في الأندلس. 130.

97 – محمد بن مسعود البجاني اليماني الغساني، أصله من بجانة، وسكن قرطبة فنسب إليها، وكان شاعرا مشهورا منتجعا للملوك، كثير الشعر مليح الغزل طيب القول. كان في حدود الأربعمائة. انظر ترجمته: الحميدي. جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس. 151، ابن بسام. الذخيرة. 1/1: 562، الضبي. بغية الملتمس. 131، ابن سعيد. المغرب. 1: 191 – 192، المقري. نفح الطيب. 3: 388.

98 – هو مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر، ويعرف بالشريف الطليق (352 هـ – 400 هـ)، سجن لقتله لأبيه بسبب جارية، وفيه تفتقت قريحته، وأطلق سراحه بعد أن قضى فيه حوالى ستة عشر عاما. وللطليق شعر كثير وحسن. انظر تفاصيل ذلك: ابن حزم. جمهرة أنساب العرب. تحقيق عبد السلام هارون. دار المعارف. مصر. 1962. ص 100، 103، وطوق الحمامة. 50، الحميدي. جذوة المقتبس في تاريخ ولاة الأندلس. 243، الضبي. بغية الملتمس. 461، ابن بسام. الذخيرة. 1/1: 103، 563 – 564، المراكشي. المعجب. 285، المقري. نفح الطيب . 586، غرسية إميليو غومس. مع شعراء الأندلس والمتنبي. تعريب الطاهر أحمد مكي. دار المعارف. مصر. ط 3. 1983. ص 58 – 82، إحسان عباس. تاريخ الأدب الأندلسي، عصر سيادة قرطبة. 223 – 235، فورار امحمد. الشريف الطليق الأندلسي، سيرته وأهم موضوعاته الشعرية. مجلة العلوم

الإنسانية. جامعة محمد خيضر. بسكرة. الجزائر. عدد 5. ديسمبر. 2003. ص 177 – 189.

99 – ابن بسام. الذخيرة. 1/1 : 563، المقري. نفح الطيب. 3: 388.